

الأساس في الطب النفسي الافتراضات الأساسية:

الفصل السادس:

ملف اضطرابات الوعي (55) "عن إبداع العلم"

نهاية حتمية لبداية ضرورية

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD171015.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/10/17
السنة التاسعة - العدد: 2969



مقدمة:

بدءاً من اليوم، وبناء عن تجربة الأسبوع الماضي، وما تبع ذلك من استجابة طبية لتقديم ما هو أبسط وأنفع، وفي إطار إعادة النظر في ترتيب أيام الأسبوع بالنسبة للموضوعات المختلفة.

انتقل باب "حوار مع مولانا النفرى" إلى يوم الأربعاء لنخصص يومى السبت والأحد لكتاب "الأساس في الطب النفسي"، ثم يومى الإثنين والثلاثاء لمواصلة باب حالات وأحوال" أو "التدريب عن بعد" (الإشراف) فيبقى الأربعاء والخميس للنفرى ونجيب محفوظ، والجمعة لبريد الجمعة.
دعونا نجرب ونرى. الحمد لله

وبعد

أنهينا آخر نشرة في هذا الملف الأسبوع الماضي بتساؤل يقول:

هؤلاء الذين أبدعوا أحلامهم أثناء التجربة، لا هم "جراديفا. ف. يتزن" [1]، (عن فرويد) ولا "نجيب محفوظ" ولا "جارتيا ماركيز"، هم من عامة الناس المصريين، فكيف فعلوها وهم "في بقطة معا" هكذا؟

هذا ما سوف نحاول الإجابة عليه في النشرات التالية.

وهأنذا أحاول، فأجد أنني، وقد كنت في بؤرة التجربة شخصياً أنا وزملائي الأصغر، أجدنى لا أستطيع أن أجيب إجابة شافية تقعن أياً من الباحث النفسى (خاصة لو كان أكاديمياً) الذى لا يعترف بمثل هذه التجارب، ولا يقبل أخذ نتائجها مأخذ الجد، إلا إذا أعادها وأتت بنفس النتائج [2]، ولا المحلل النفسى الملتزم بأبجدية ومنهج ترجمة الرموز، وهو يبدأ من حيث شككنا وينتهى إلى حيث رفضنا، ولا الطبيب النفسى الذى لا يأخذ الأحلام مأخذاً يليق بمعناها ووظيفتها ودورها سواء فى الكشف، أو النمو، أو التعلم، أو التفريغ، وبرغم كل ذلك فقد بدت تجربة صادقة واقعية قبلها الشخص العادى ومارسها بتلقائية سلسة قبل أن يطلب دليلاً عقلياً أو إثباتاً علمياً.

فإذا كان الأمر كذلك، فما هو السبيل الذى أوصل به مصداقية ما جرى، وأهمية ومغزى ما خرجنا به منه، وما يمكن أن يضيف إلى معرفتنا عن الأحلام ومصدرها وطبيعتها من خلال ما يمكن أن يتخلق من هذه الفروض وقبلها؟

الناس البسطاء:

بداية لا بد أن أعلن احترامى لكل هؤلاء، وفهمى لمنطقهم، وتقديرى لمنطقتهم، ولكن فى نفس

إن هذه المنطقة، منطقة الوعي (والعلم) والإبداع، هي منطقة متجددة وأحياناً مستعصية

إن مفهوم الوعي ما زال خامساً برغم المحاولات الرائعة والمثابرة لتحديد معالمه وسبر خوره

أن نقر أن الوعي لازم كإرضية أساسية لكل نشاط عقلى آخر، وذلك بالمعياره 'الموساد الذى تتم فيه العمليات العقلية الأكثر تحديداً، والذى تمثل الشكل بالنسبة لهذه الأرضية الأشمل

الوقت على أن أعلن أنني لا أخطبهم ابتداءً، بقدر ما يهمنى توصيل ما عاينت، وسجلت رأي العين، إلى من هم مثل من قاموا به في جلسة العلاج الجمعي المذكورة، هؤلاء الناس البسطاء الأقرب إلى ما هو "ربي كما خلقتني" "ربي كما خلقتني".

إن مثل هذه الفروض، ومحاولة إثبات بعض جوانبها من واقع خبرة الممارسة، وخاصة الممارسة التي تتبع منهج "نقد النص البشري" أكثر من "تطبيق المتن النظري"، خليفة بأن يتلقاها الذي لم يعايش خبرات النقد أو الإبداع (بالمعنى اليومي العادي، وليس بالضرورة بمعنى التفرد والإنتاج المسجل) باعتبارها اجتهادات شخصية، غامضة، وطبعاً مقولة بالتشكيك، وجاهزة للرفض.

وقد حاولت أن ألتمس العذر لكل هؤلاء دون استثناء، ومن أهم ما يسمح لي بذلك أن أقر وأعترف باضطراري لاستعمال "لغة خاصة"، (لغة لها دلالات خاصة) لأعبر بها عن منطقتي الخبراتية المباشرة، أكثر من الرجوع إلى مرجعيات علمية أو معجمية محددة.

عموماً فإن هذه المنطقة، منطقة الوعي (والحلم) والإبداع، هي منطقة متحدية وأحياناً مستعصية، فمثلاً: إن مفهوم الوعي ما زال غامضاً برغم المحاولات الرائعة والمثابرة لتحديد معالمه وسير غوره. لا بد أن نقر أن الوعي لازم كأرضية أساسية لكل نشاط عقلي آخر، وذلك باعتباره "الوساد الذي تتم فيه العمليات العقلية الأكثر تحديداً، والتي تمثل الشكل بالنسبة لهذه الأرضية الأشمل"، إلا أن هذا الفهم للوعي غير كاف لأن الوعي ليس أرضية منفصلة عن الشكل أو متبادلة معه بقدر ما هو حاضر في كل هذه العمليات حضوراً شاملاً فاعلاً متميزاً في آن.

وقد توارت حقيقة الوعي عند الدارسين (بل والعلماء) والكافة "إما بالإنكار أو بالإهمال أو بالنفي" - كما يقول الطبيب النفسي الفرنسي هنري إي [3] - فالبعض أنكر الوعي تماماً كمادة للدراسة والتقييم مثل السلوكيين، والبعض نفخ فيه حتى أصبح هو كل شيء، فلم يعد شيئاً، والبعض نزع منه التحديد الذاتي حين جعله شبكة معقدة من التركيبات البيئية الشخصية، والبعض جعل الوعي -اختزالاً- مرادفاً للصحو مرة (ضد النوم) ومرادفاً للشعور مرة أخرى (ضد اللاشعور) وقد حاولت تحديداً باكراً لما هو "الوعي" كما يلي (ولم أكن راضياً تماماً عن ذلك، ومازلت)

قلت:

الوعي هو العملية الحيوية التي يتم من خلالها تشكيل منظومة عقلية في تركيبها الكلي في لحظة ما، فإذا استمر هذا التشكيل لفترة من الزمن أصبح يمثل مستوى منظومياً كلياً خاصاً يمكن استحضاره وتنشيطه وإعادة تشكيله ككل.

وبالتالي فإنني أستعمل كلمة الوعي بهذا المفهوم الأخير من هذا المنطلق، وهكذا يوجد أكثر من وعي، وأكثر من مستوى طول الوقت، وهي ليست مستويات متبادلة فحسب، وإنما هي حركية متضفرة، ومتكاثفة، ومتجددة، طول الوقت، وكل ذلك يجري بتلقائية بيولوجية نابضة أساسها الإيقاع الحيوي وجدلية النمو، التي هي في أصول أصولها: إبداع الذات المستمر، قبل أي إنتاج إيداعي خارجها.

وكما ذكرت سابقاً فأنتى تعرفت على طبيعة الحلم من الإبداع والنقد الإيداعي، كما أنتى تعرفت على طبيعة الإبداع من الجنون باعتباره إبداعاً مجهضاً (نشرة 2015/8/31 أحلام محفوظ تتطلق من: إبداع الشخص العادي).

ثم تأتي صعوبة أخرى نابعة من علاقتي بالاعتراف بالوحدة الزمنية بالغة القصر كما وصلنتي من الممارسة والنقد والمراجع الكوانتية والخبرة الشخصية وهو ما لا أستطيع نقله إلى القارئ بسهولة، هذه الوحدة التي برغم صغرها تمثل لي لبنة حيوية غاية في الأهمية في الإبداع - كما في الحلم والجنون - ينقلب الزمن مكاناً دون أن ندرك ذلك، وحين تتداخل الأمكنة بما تحمل من معلومات

أن هذا الفهم للوعي غير كافٍ لأن الوعي ليس أرضية منفصلة عن الشكل أو متبادلة معه بقدر ما هو حاضر في كل هذه العمليات حضوراً شاملاً فاعلاً متميزاً في آن.

الوعي هو العملية الحيوية التي يتم من خلالها تشكيل منظومة عقلية في تركيبها الكلي في لحظة ما، فإذا استمر هذا التشكيل لفترة من الزمن أصبح يمثل مستوى منظومياً كلياً خاصاً يمكن استحضاره وتنشيطه وإعادة تشكيله ككل

يوجد أكثر من وعي، وأكثر من مستوى طول الوقت، وهي ليست مستويات متبادلة فحسب، وإنما هي حركية متضفرة، ومتكاثفة، ومتجددة، طول الوقت

كل ذلك يجري بتلقائية بيولوجية نابضة أساسها

الإبداع الحيوي وجدلية النمو ،
التي هي في أصول أصولها:
إبداع الذات المستمر، قبل
أي إنتاج إبداعي خارجها.

تتداخل الأزمنة وتحدث نقلات نوعية مختلفة القيمة أو تكثيف محيط متداخل حتى يتجادل أو

من هذا المنطلق، رأيت أن النقلة من وعى اليقظة إلى وعى النوم لا تتم فجأة، وحتى لو تمت فجأة حسب رصد النائم (حين يصحو) أو المحيطين، فإنها تتم عبر حساب وحدات الزمن الأصغر، وهي تتم على مراحل متلاحقة متتابعة، وهذا ما يحدث أيضا في النقلة من وعى اليقظة إلى وعى النوم، وعلى ذلك فكل المعلومات المُقلَّلة ليست في متناول الحكي المباشر، ولا هي مرتبة وجاهزة لذلك، وما يحدث أثناء تلك النقلات عبر درجات الوعى المتلاحقة من النوم إلى الاستيقاظ هو أن المعلومات المتتعة تكون في متناول وعى أقرب فأقرب إلى وعى اليقظة لكنه ليس تماما وعى اليقظة، لكن ذلك يتم في وحدات زمنية أقرب إلى أجزاء الثواني مما لا يمكن رصده، فما بالك ما يحدث أثناءها.

تذكرة:

الفرض الاساسى يقول: إن الشخص يلتقط ما تيسر مما هو أقرب إلى وعى اليقظة لحظة استيقاظه، وينسج منه حلمه، ليس عشوائيا تماما لكنه أقرب إلى العشوائية على كل حال.

التجربة والفرض:

وأنا أحاول إغلاق هذا الملف اليوم أو غدا ، ولو مؤقتا، سوف أحاول أن استرجع وأوجز الخطوط العامة لمجمل التجربة كالتالى:

المرحلة الأولى: أثناء التجربة

- (1) حين التقطت الدكتورة دينا زميلة (متدربة) الدعوة إلى محاولة تأليف حلم فى جلسة العلاج الجمعي ، بقولها "تعمل حلم"، وليس "تحكى حلما" ، لم يكن فى متناول انتباهى الظاهر أى من هذه المقدمات، أو الصعوبات، أو الفروض التى عشتها معنا ونحن نجرب، لكننى فرحت بتعبيرها فرحا حقيقيا، وعبرت عن ذلك مما سبق ذكره، وبدأنا على الفور الدخول فى التجربة
- (2) بصراحة: كنت أول المندهمشين، وأكثر المرحبين فى نفس الوقت، بالاستجابة التلقائية لكل أفراد المجموعة أطباء ومرضى، برغم بعض المقاومات البدئية
- (3) انتهت التجربة فى وقت قصير (حوالى 25 دقيقة تقريبا) بسرعة غير متوقعة، ولم نناقش كالعادة أى معنى لمغزاها تفسيريا لما جرى، برغم تنشيط الوعى البيئشخصى والجمعى كالتالى، ولم نطرح محاولة تفسيرها لا بفروضى، ولا بغيرها
- (4) لم يعلق أى فرد فى المجموعة على غرابتها أو يصفها باللعبة أو يزعم استحالتها أو يعتذر بعدها عن واقعه الآتى أو أى واقع لأى شريك مشارك
- (5) تداخل أداء (وإبداع) أفراد المجموعة - بدءا بالقائد المدرب- فى أحلام بعضهم البعض:

حئا، أو اعتراضا، أو تعديلا، أو إضافة

المرحلة الثانية: ملاحظات بغدية

(بعد التسجيل السمعى البصرى ثم مطالعة التقرير على الورق)

- * لاحظت - كما ذكرت سابقا- أن مفتاح نجاح التجربة كان مرتبطا نسبيا بالتركيز على "فعل التأليف (الإبداع) فى "هنا والآن"، (بالتأكيد على البدء بـ "أنا دلوقتى") كما بيِّنا مرارا
- * انتبهت إلى أن حالة الوعى أثناء إبداع الحلم كانت بالوصف الذى أميل إلى استعماله، بمعنى أنه يتم فى حالة خاصة من الوعى الموازى وليس الوعى المتبادل.
- * انتبهت إلى تكرار الأعلان عن صعوبة التمييز بين أننا "نتخيل" مقابل أننا نعمل،

ثم تأتى صعوبة أخرى تابعة
من علاقتى بالاعتراض
بالوحدة الزمنية باللغة القصر
كما وصلتني من الممارسة
والنقد والمراجع الكوانتية
والخبرة الشخصية

أن النقلة من وعى اليقظة
إلى وعى النوم لا تتم فجأة،
وحتى لو تمت فجأة حسب
رصد النائم (حين يصحو) أو
المحيطين، فإنها تتم عبر
حساب وحدات الزمن الأصغر

ما يحدث أثناء تلك النقلات
عبر درجات الوعى المتلاحقة
من النوم إلى الاستيقاظ هو
أن المعلومات المتتعة
تكون فى متناول وعى أقرب
فأقرب إلى وعى اليقظة لكنه

نعيش (نبدع) توليفا جديدا "هنا والآن".

* هذه الحالة أسميتها "مِثْل الوعى"، Tilted consciousness (ولست متأكدا من سلامة الاسم حتى الآن)، إنما أعنى بها "حالة من تغير نوعى فى الوعى [4]، ليس على حساب وعى اليقظة، ولا هى أقرب إلى وعى النوم"، وهذا ما أطلقت عليه أثناء الشرح: "وعى الحلم على حافة وعى اليقظة"

* إنه يمكن استنتاج - ولو من تجربة واحدة- أن الشخص العادى قادر على إبداع ما هو حلم، مهما كان مستوى ثقافته أو قدراته أو خبرته فى أنه فعلا يبدع ليل نهار ما لا نعرف تحديدا.

* أن ما تم إبداعه من أحلام - كما ذكرنا حالا، وأكرر- ليس خيالا أو تخيلا، لكنه إبداع آتى فى وعى حالىّ آخر، مواكب وملامس لوعى اليقظة، وهذا ما يميزه عن ما يسمى أحلام اليقظة من جهة، وأيضا عن حالات اشفاق الوعى [5] من جهة أخرى. (وقد ميزناه عن أحلام اليقظة تفصيلا فى [\(نشرة 16-8-2015\)](#)).

* أن مواصفات ما حصلنا عليه من أحلام، بكل تلقائيتها، وتواضعها، هى نفس مواصفات ما يسمى "أدب الحلم" (برغم تحفظى على الاسم فى كتاباتى النقدية السابقة)

* إن نجيب محفوظ هو أكرم وأبدع من النقط إبداع الشخص العادى وأعلنه [\(أنظر نشرة: 2015/8/31\)](#) فقد التقط قدرة الشخص العادى أن يبدع دون أن يسمّى مبدعاً أو يصنف كذلك

* إن مقارنة عينة محدودة من إبداع أحلام نجيب محفوظ مع بعض ما حصلنا عليه من إبداع هؤلاء البسطاء الذين مارسوا بتلقائية ما هو "ربى كما خلقتنى" " ربى كما خلقتنى"، هو أمر وارد، وهوما لوحنا به فى بريد الجمعة الماضى مباشرة حيث قلنا ردا على الزميل السائل : د. جون جمال ما نصّه:

د. جون جمال

إذا كان الإنسان العادى مبدعا بالضرورة مثل أى شخص فما الفرق بين المبدع نجيب محفوظ وبين أى إنسان آخر لماذا هذا له إنتاج إبداعى ملحوظ وهام ومميز والإنسان العادى وكمثال "أنا" ليس له؟؟!!

د. يحيى:

أشرك يا جون على هذا التساؤل الرائع، ولعلمك فكل ما أحاوله (أو أغلبه) فى هذه المنطقة هو أن أكشف للشخص العادى - كما خلقه الله- قدرته الإبداعية التلقائية، دون أن يكتب رواية أو يقرض شعراً أو يرسم لوحة أو يقسم لحنا، (وأنت بصدقك هذا تمثله).

وقد خطر لى أن أنشر حلما من أحلام فترة النقاهاة أو غيرها لمحفوظ، وأنشر معه حلما من الأحلام التى أبدعناها فى المجموعة العلاجية من أفراد عاديين بعضهم لا يفك الخط، وسوف تجد الشبه دون إقلال ولا واحد فى المليون من عبقرية إبداع محفوظ، ولعلمى به فقد كان هو أول من سيفرح بهذه المقارنة فأنت لا تتصور احترامه وتقديسه لما هو "عادى" مؤمنا ومبدعا،(كما خلقه الله)

وإلى الغد أمل أن نحتلم المغامرة

ليس تماما وعى اليقظة، لكن ذلك يتم فى وحدات زمنية أقرب إلى أجزاء الثوانى مما لا يمكن رصده، فما بالك ما يحدث أثناءها

الفرض الأساسى يقول: إن الشخص يلتقط ما تيسر مما هو أقرب إلى وعى اليقظة لحظة استيقاظه، وينسج منه حلمه، ليس عشوائيا تماما لكنه أقرب إلى العشوائية على كل حال

مِثْل الوعى"، Tilted consciousness أعنى بها "حالة من تغير نوعى فى الوعى، ليس على حساب وعى اليقظة، ولا هى أقرب إلى وعى النوم"، وهذا ما أطلقت عليه أثناء الشرح: "وعى الحلم على حافة وعى اليقظة"

كل ما أحاوله (أو أخلبه) في هذه المنطقة هو أن أكتشف للشخص العادي - كما خلقه الله- قدرته الإبداعية التلقائية، دون أن يكتب رواية أو يقرض شعراً أو يرسم لوحة أو يقسم لنا

- [1]- أنظر نشرة 12-10-2015: " أصل التنظير وراء التجربة"
- [2]- والإبداع لا يمكن إعادته وإلا أصبح ماسخاً سخيفاً، أنظر محاولة "رضا" في جلسة 2010/8/25، وجلسة 2010/9/29 في نشرة 2015/10/7 ، وحين أعادتها فأنت بإبداع جديد.
- [3]- د. يسرية أمين "هنري إي والمرضى النفسي والتطور" مجلة الإنسان والتطور - عدد أبريل 1981
- [4]- لعلها أقرب إلى ما أسميناه الحلة الحلمية في بداية الذهان Onerohrenia، وأيضا إلى تغير نوعي عند المبدعين، خاصة في بداية دخولهم إلى حالة الإبداع ، ويصفونها بألفاظ مختلفة متعددة لا مجال لتعدادها هنا، وإن كانت قد وردت بعضها في أطروحتي النقدية "الإبداع الحيوي ونبض الإبداع" مجلة فصول (المجلد الخامس-العدد الثاني-1985) وأصلا في أطروحتي تحت فقرة قراءة في "من شهادات النقاد" مجلة فصول - المجلد التاسع عدد 3-4 فبراير 1991

[5] -Dissociated Consciousness

*** **



شبكة علوم النفس العربية
نحو لياقة نفسانية أفضل

تنظم مؤسسة العلوم النفسية العربية
أسبوع " العربية " و علوم النفس
الاسبوع السنوي الثاني
من 18 الى 2 ديسمبر 2015



دعوة للمشاركة في اثناء الأسبوع الثاني بحراسات في
الموضوع

المجلة العربية للعلوم النفسية
مجلة فصلية محكمة في علوم النفس

العدد 46- صيف 2015

الملف الجنوسية المثلية... من الاسواء الى الاضطراب



تنزيل كامل العدد

(تنزيل خاص بالمشاركين / حمي بكلمة عبور)

http://www.arabpsynet.com/pass_download.asp?file=46

الإفتتاحية

www.arabpsynet.com/apn.journal/apnJ46/apnJ46First&Editorial.pdf

حليل الأعداد السابقة

<http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm>